الكلام : وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر ، فاعترض بينهما بقوله تعالى : ﴿ والله أعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ ﴾ وفائدته إعلام القائلين (أنه مفتر) أن ذلك من الله وليس منه ، وأنه أعلم بذلك منهم .

ويبدو أن الأثر الدلاليَّ الأشمل وراء الاعتراض يتمثل في أن حركة الصياغة بهدف إفساح المجال لما يعترض به ليست أمرًا متوقعًا ، فتكون الإفادة مثل الحسنة تأتي من حيث لا نرتقبها [١] .

ويكاد يقترب من الاعتراض ما أسموه (الاحتراس) حيث يكون الكلام موهمًا لخلاف المقصود فيؤتى فيه بما يدفع ذلك كقول طرفة :

فَسَقَى دِيارَكَ – غَيْرَ مُفْسِدِها – صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيْمَةٌ تَهْمِي [٢]

وتمثل (الزيادة) لونًا آخر من ألوان تحريك الصياغة أفقيا ، وهي تتشابه مع الاعتراض والاحتراس في أنها تسمح بإحلال عنصر دخيل على التركيب يقطع بين عناصره الأساسية ويحرِّكها من موضعها الأصيل إلى موضع جديد تستقر فيه ، فتتلون الدلالة ، ويتغير المعنى من خلال هذا التحريك .

وبما أن الزيادة معدودة من جملة الإطناب ، فإن تحقيق أمرها يقتضي البناء على شيء عرفي « مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم ، ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسًا عليه . » [٣]

ولا شك أن للزيادة مقامات تستمد قوامها من مناسباتها بحيث تصادف موقعها المحمود ، فزيادة (لك) في قول الخضر لموسى عليه السلام في الكَرَّة

(١) الخطيب القزويني : الإيضاح ، ص ١٤٦–١٤٨ ، وابن الأثير : المثل السائر ، ج ٣ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٢) الخطيب القزويني : الإيضاح ، ص ١٤٤ .
(٣) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص ١٢٠ .